مذهب الشيطان

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد،،،
فالجنس الأول من الشر الذي يطمح الشيطان إليه مع بنى آدم أن يوقعهم في الكفر, وللشيطان مذهب لم يغب عن الأرض طرفة عين، قال تعالى:{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [60] وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ [61] وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}[سورة يس].

فقوله تعالى:{أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً} يدل علي أن أكثر أهل الأرض يتبعون مذهب الشيطان, وهذا واضح أيضًا في قول الله عز وجل:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ... [18]}[سورة الحج]. فعموم المخلوقات، وكل دابة على وجه الأرض, كله يسجد, ولما ذكر الناس قال:{وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} إذًا فليسوا جميعًا يسجدون، أو يوحدون، مع أن الكون كله ساجد وموحد إلا الثقلين: الإنس والجن.

مذهب الشيطان
أي مذهب لا يكون إلا بأمر ونهى, أنزل الله عز وجل الكتاب، وأرسل الرسل؛ ليأمر الناس بشيء وينهاهم عن شيء, إذًا الأمر والنهى أصل كل مذهب، والشيطان يقول:{وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ...[119]}[سورة النساء].

النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى العرب، ودعاهم إلى الله، لماذا قاتلوه مع أنهم يوحدون الله التوحيد الخاص بالخلق والإحياء والإماتة والإيجاد من عدم؟! ولم يَدَّعِ أي من العرب أن آلهة أخري اشتركت مع الله في خلق شيء، أو تدبير شيء، وقد أقام الله عز وجل عليهم الحجة في كثير من آيات القرآن:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ [61]}[سورة العنكبوت].

{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [63]}[سورة العنكبوت] .

{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ [31]}[سورة يونس].

في هذا كله يقرون بالله عز وجل ربًا, فلماذا قاتل العرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلموا له بدعوته؟
إن الذي أبى العرب أن يسلموا به هو توحيد العبادة: 'توحيد الألوهية' ...{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ [5]}[سورة ص].

هذا الذي أنكره عليه العرب، وصبروا علي حز الغلاصم، وأبوا أن يقولوا هذه الكلمة, لماذا لا تقول لا اله إلا الله ؟ لماذا تقوم الحروب؟ لماذا تعرض نسائك أن يكن سبايا ؟ لماذا تعرض نفسك للقتل؟ لماذا يسترق ولدك؟ لماذا كل هذا ؟ أبوا أن يسلموا بتوحيد العبادة.

نماذج من توحيد الألوهية:

وتوحيد العبادة مثل قوله سبحانه:
{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ [57]}[سورة الأنعام]. {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ [40]}[سورة يوسف].
{وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [70]}[سورة القصص].
{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [88]}[سورة القصص]. {وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [41]}[سورة الرعد].

هذا هو توحيد العبادة:{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ} توحيد الحاكمية أخص خصائص توحيد العبودية, لا يحل لأحد أن يأمر بمعروف، أو بواجب، أو مستحب، أو ينهي إلا الله ، ومن أرسله من رسول .

هذا التوحيد هو ما أرادوا تحريفه في نفوس الأجيال:
لما درسوا الدين في المدارس افتتحوه بعبارة شهيرة ماكرة , قالوا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم- وذكروا بعض مظاهر الجاهلية-:'يسجدون للأصنام، ويشربون الخمر، ويئدون البنات'. وانتهى الأمر، وصارت عبارة دارجة وشهيرة في الكتب، فهل هذه العبارة صحيحة؟

فإذا تكررت هذه العبارة- والقاعدة الإعلامية اليهودية الماكرة تقول:'ما تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ'- فمع تكرار العبارة يصير وقعها على النفوس مستقرًا حتى ولو كانت غلطًا, فإذا استقرت هذه العبارة في نفوس الجماهير؛ فسينظروا الآن هل هناك أحد يعبد الأصنام؟ الجواب: لا , هل هناك أحد يشرب الخمر؟ سواد المسلمين لا يشربون الخمر، وحتى الذين يشربونه يعلمون أنه حرام. هل هناك من يدفن البنات؟ الجواب: لا... إذا الإسلام موجود كله، الإسلام الذي قاتل النبي صلى الله عليه وسلم عليه موجود !!!
هل هذه العبارة صحيحة بهذا الإطلاق؟ الجواب: لا.

لماذا قاتل العرب النبي صلى الله عليه وسلم؟
إن العرب قاتلوا حتى لا يكون الحكم لله، يريدون أن يحكموا بأهوائهم، ويشرعون بأهوائهم, {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ [59] }[سورة يونس].

لا يحل الحكم في خردلة فما دونها إلا بحكم الله عز وجل . إن العرب صبروا على القتال، وفقدوا الأنفس الغالية, فقدوا الرؤساء، فقدوا السادة والصناديد الكبار، وسبيت نساؤهم، وأبوا أن يوحدوا توحيد العبادة الذي هو التسليم لحكم الله عز وجل، وهذا هو التوحيد الذي قاتل النبي صلى الله عليه وسلم العرب لأجله .

يزعجني أن كثيرًا من الناس لا يلتزم بأحكام الله، ولا يسأل عنها إلا إذا وقع في ورطة، ولم يجد حلًا، أو وقع في مصيبة، جاء يسأل عن حكم الله ! أيكون الجماد خير من الإنسان، إن الله عز وجل قال:{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [11]}[سورة فصلت]'. لماذا لا يرجع هذا إلى الله إلا بعد أن يصيبه العذاب الأليم؟!

رجل يسرق أموال الناس, ويختلس من الشركة, ويضع أمواله في البنوك، لمدة 18 سنة وهو يفعل ذلك، وفجأة سقط صريعًا، وأصيب بذبحة صدرية, فجاء يسأل ويقول: أنا أخطأت !! والبيت الذي بنيته من هذه الأموال، كل مشروعاتي من هذه الأموال، ربيت أولادي من هذه الأموال، لا امتلك

علي وجه الأرض شيء غير هذه الأموال، لا أستطيع أن أخرج من بيتي، ولا أن أخرج من تجارتي فدبرنى ماذا افعل ؟!

كثير من التجار يعقدون الصفقات، ولا يسألون عن حكم الله فيها, ومع أن كثيرًا من التجار لهم مستشارون قانونيون ومحاسبون، ويعطونهم رواتب عالية وثابتة, أهل العلم استشارتهم مجانية بلا مال , فهل يا ترى كل تاجر كبير له مستشار يقول له: هذا حلال، وهذا حرام؟!

هذا من أدل الأدلة على أننا لا نوحد الله توحيد الحاكمية الذي هو أخص خصائص توحيد الألوهية، فهذا الجنس الخطير: 'الكفر' هذا ما يطمح الشيطان إليه .

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على صيانة جناب التوحيد:

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصًا على صيانة جناب التوحيد، حتى ولو باللفظ، وبدل علي ذلك ما رواه بن ماجة وأحمد وغيرهم بسند قوى عَنْ طُفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ أَخِى عَائِشَةَ لأُمِّهَا أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ الْيَهُودُ. قَالَ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عُزَيْراً ابْنُ اللَّهِ. فَقَالَتِ الْيَهُودُ وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ النَّصَارَى. فَقَالَ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. قَالُوا وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ ثُمَّ أَتَى النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: [هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَداً]. قَالَ نَعَمْ. فَلَمَّا صَلَّوْا خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: [إِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِى الْحَيَاءُ مِنْكُمْ أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا لاَ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ].

إذًا: نخلص من هذا أن التوحيد الذي كان فرقانًا بين الجاهلية والإسلام هو 'توحيد العبادة'.

فهذا الجنس الخطير 'الشرك' هو ما يسعى الشيطان إليه، وأوسع هذه الأبواب تلقى الأوامر والنواهي من غير الله عز وجل، قال الله سبحانه:{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ[116] مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [117]}[سورة النحل].

وقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى الله وإلى توحيده, وأهدر الأموال بين الناس لعلة التوحيد، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ] رواه البخاري ومسلم. إن الذي فرق بينهما 'التوحيد' الذي فرق بين الوالد وولده، وبين الولد ووالده ' التوحيد' .

فمن العجب أن تهون بعض الجماعات الإسلامية الآن من شأن التوحيد، ويقولون إن الكلام في التوحيد يفرق، ونحن نريد أن نجمع الكلمة!

إذا اختلفنا على الله تعالى فعلى ماذا نتفق ؟ كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ولا سبيل إلى توحيد الكلمة قبل أن نتفق على كلمة التوحيد, واحتج بعضهم غلطًا ووهما بقصة هارون عليه السلام، وأنه ترك الناس يعبدون العجل خشية أن يفرق بين بني إسرائيل:{ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا[92]أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي[93]قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي[94]}[سورة طه].

فقالوا: ترك هارون بني إسرائيل يعبدون العجل حتى لا يفرق بينهم.. فهل هذا صحيح؟
الجواب: إنه خطأ، وهذا الرأي ظاهر البطلان من آيات القرآن.. لقد نهاهم هارون عليه السلام:{ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي[90]}[سورة طه].

فبين لهم أنه لا يحل لهم أن يعبدوا العجل, وفي سورة الأعراف نبه عليه السلام أنهم كادوا يقتلونه لمّا نهاهم:{ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي...[150]}[سورة الأعراف]. هل يقتلوه وهو ساكن صامت، أو يقتلوه لأنه قاومهم ووقف في وجههم؟!

فكيف يظن في نبي الله هارون أن يرى الناس يعبدون العجل من دون الله عز وجل، فيسكت خشية أن يفرق جمعهم , إنما أرسل الله عز وجل موسى وهارون وقسم الدنيا قسمين: فراعنة وإسرائيليين، فصلهم قسمين كبيرين لماذا ؟ ليتركوا عبادة فرعون ويعبدوا العجل؟! ما هو الفرق؟!

فصاروا يهونون من مثل هذا، ويقولون إن الكلام في التوحيد يعكر الساحة, أهم شيء هو العدو الخارجي إسرائيل!

والمد الثقافي الذي هو أخطر من الغزو العسكري قائم على قدم وساق:{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...[89]}[سورة النساء]. {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ... [120]}[سورة البقرة].

المسألة مسألة عقدية.. فهؤلاء اليهود يفعلون كل شيء لتدمير شباب هذه الأمة، والعجيب أن يكون هناك عملاء يغطون مثل هذه الأقاويل، الحرب الثقافية على أشدها الآن.
فنسأل الله تبارك وتعالى أن يرد هذه الأمة إلى دينه مردًا جميلًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا.

من خطبة:'مذهب الشيطان' للشيخ/أبي إسحاق الحويني